ديدكتيك النص السردي في ظل المتغيرات الحضارية الراهنة

Didactics of the Narrative Text in Light of Current Civilizational Changes

الباحث: أسامة الدواح

جامعة: سيدي محمد بن عبد الله/ كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس فاس- المغرب

مختبر الدراسات الأدبية واللسانية وعلوم الإعلام والتواصل.

Oussama.douah@usmba.ac.ma

مستخلص البحث

لقد شكل النص السردي منذ فترات مضت أحد المرتكزات الأساسية في تدريس اللغة العربية بالسلك الثانوي، لما له من دور في تنمية مهارات القراءة والفهم والتعبير، غير أن طرائق تدريسه التقليدية كثيرا ما تُفضي إلى تعلم آلي يحد من تفاعل المتعلمين وإبداعهم. وفي ظل التحول الرقمي المتسارع، برزت الحاجة إلى استثمار مقاربات حديثة تجعل من النص السردي مادة حيّة، قادرة على الانفتاح على الوسائط الرقمية والتقنيات التفاعلية. وتهدف هذه المقالة البحثية إلى مقاربة بعض الاستراتيجيات البيداغوجية المعاصرة في تدريس النص السردي، مثل القراءة التفاعلية، والعمل بالمشروع، والسرد الرقمي، مع إبراز أدوارها في تحفيز المتعلم، وتنمية كفاياته القرائية والتواصلية، وربط الدرس الأدبي بمتطلبات الحياة وسوق العمل. كما تسعى إلى فتح نقاش حول آفاق توظيف الأدوات الرقمية في درس الأدب، بما يحقق التكامل بين الإبداع الأدبي والابتكار التربوي.

كلمات مفتاحية :النص السردي؛ طرائق حديثة ؛ الديدكتيك؛ التحول الرقمي؛ التعلم التفاعلي

Abstract

The narrative text has long been a central component in teaching Arabic at the secondary level due to its role in fostering reading, comprehension, and expressive skills. Yet, conventional methodologies often result in rote learning that constrains learners' engagement and creativity. Considering rapid digital transformations, there is a growing need for innovative approaches that reposition the narrative text as a dynamic medium, responsive to digital platforms and interactive technologies.This study examines selected contemporary pedagogical strategies such as interactive reading, blended learning, and digital storytelling emphasizing their contribution to learner motivation, literacy development, and communicative competence. It further considers the integration of

digital tools in literary education to align literary creativity with educational innovation and the evolving demands of society and the labor market.

Keywords: Narrative text; Innovative pedagogy; didactics; Digital transformation; Interactive learning.

المقدمة

يعد النص السردي أحد المرتكزات الأساسية في تدريس اللغة العربية بالسلك الثانوي، لما يتيحه من إمكانات معرفية وتربوية تسهم في تنمية مهارات القراءة والفهم والتعبير لدى المتعلمين. وقد ظل هذا النص عبر عقود مجالا خصبا للتجريب البيداغوجي، غير أن طرائق تدريسه التقليدية كثيرا ما اقتصرت على الشرح والتحليل الآليين، وهو ما أفرز تعلمات سطحية تحدّمن انخراط المتعلم وتفاعله الإيجابي. ومع التحولات الحضارية المتسارعة، خاصة التحول الرقمي وما صاحبه من بروز وسائط جديدة وطرائق تواصلية مبتكرة، أضحى من الضروري إعادة النظر في ديدكتيك النص السردي، قصد جعله أكثر تفاعلا وانفتاحا على التقنيات الرقمية الجديدة التي تستجيب لحاجيات الجيل الرقمي وتطلعاته.

انطلاقا من هذه المعطيات، تطرح هذه الدراسة مجموعة من الإشكاليات الجوهرية، من أبرزها: (١) كيف يمكن تجديد طرائق تدريس النص السردي بما يضمن الانتقال من التلقي السلبي إلى التفاعل والإبداع. (٢) ما حدود وفعالية إدماج الوسائط الرقمية والتقنيات التفاعلية في درس الأدب عامة، والنص السردي خاصة، (٣) إلى أي حد يمكن للمقاربات البيداغوجية الحديثة (مثل القراءة التفاعلية، التعلم المدمج، والسرد الرقمي) أن تسهم في تنمية الكفايات القرائية والتواصلية للمتعلمين، (٤) وما هي آفاق الربط بين تدريس النص السردي ومتطلبات الحياة العملية وسوق الشغل في ظل التحولات الحضارية الراهنة.

تتجلى أهمية هذا الموضوع في كونه يسعى إلى تجديد الممارسات البيداغوجية المرتبطة بتدريس النص السردي بما يلائم المتغيرات الحضارية الراهنة، وذلك من خلال استثمار مقاربات معاصرة مثل القراءة التفاعلية، والتعلم المدمج، والسرد الرقمي. كما يبرز راهنية البحث في كونه يربط بين الأدب والابتكار التربوي، ويستجيب لمتطلبات المدرسة الحديثة التي تراهن على جعل المتعلم في قلب العملية التعليمية التعلمية. إضافة إلى ذلك، يسهم هذا الطرح في مواءمة الدرس الأدبي مع التحولات التي يعرفها سوق العمل، حيث أضحى الإلمام بالوسائط الرقمية والتقنيات التفاعلية مطلبا أساسا لكفايات القرن الواحد والعشرين.

اهتمت دراسات عدة في العقود الأخيرة ببحث قضايا تدريس النص السردي، سواء في ارتباطه بالمقاربات النصية واللسانية، أو بالمقاربات التواصلية والبنائية. وقد أولت بعض الأبحاث عناية خاصة

بالنص السردي، باعتباره مجالا خصبا وأرضية رحبة لتطوير الكفايات القرائية والتواصلية لدى المتعلم، ومن الدراسات التي ركزت على القراءة الموجهة والقراءة التفاعلية نذكر بأن تعليم درس الأدب بين الرهانات الديداكتيكيّة ونظريّة الأدب: تعليم النصّ السرديّ أنموذجا الباحث: فؤاد الخطيب- المعهد العالي للتربية والتكوين المستمر-باردو – تونس. مقال نشر في مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية العدد.

وقد ركز هذه هذه الدراسة على إشكالية تدريس النص الأدبي، مستعرضا النص السردي نموذجا للتفاعل بين الرهانات الديداكتيكية ونظرية الأدب. ويبين الباحث أن الاقتصار على المناهج الشكلانية والبنيوية يحد من فعالية الدرس، داعيا إلى مقاربات أوسع تنفتح على البعد التداولي والتفاعلي والرقمي. ويخلص إلى أن تجديد تعليم الأدب يقتضي تحويل النص السردي إلى مجال لتكوين المتعلم في مهارات الفهم، والتفكير النقدي، والتأويل الخلاق.

أما هذه الدراسة المعمقة فقد ركزت على دور تدريس النصوص في تعليم اللغة العربية بالسلك الثانوي التأهيلي، مع التركيز على تنمية مهارة التذوق الأدبي لدى المتعلمين. ويبرز أن التفاعل مع النصوص الأدبية بصيغتها الفنية يعزز الحس الجمالي والتأمل النقدي، مؤكدة على أهمية استخدام طرائق تدريس تفاعلية لدعم هذه الكفاية.

يعرض نور الدين أرطيع في "رؤى جديدة في تدريس اللغة العربية "مقاربات واستراتيجيات مبتكرة تهدف إلى تطوير تعليم اللغة وتعزيز مهارات القراءة والكتابة لدى المتعلمين. ويركز على الاستراتيجيات التفاعلية والتكنولوجية لمواكبة التحولات المعرفية والثقافية الحديثة. ويخلص إلى أن الابتكار البيداغوجي يمثل أداة أساسية لتحقيق تعليم فعال ومتجدد.

يمكن القول إن موضوع ديدكتيك النص السردي في ظل المتغيرات الحضارية الراهنة، موضوع أوسع وأحدث من الدراسات السابقة التي أشرنا إليها، لأنه يجمع بين ديداكتيك النص السردي وكفايات المتعلمين والتحولات الحضارية الرقمية والثقافية، ولعل دراسة فؤاد الخطيب أقرب إلى محتوى الدراسة، أما الدراسات الأخرى المذكورة فهي داعمة للجوانب التعليمية والابتكارية أكثر، لكنهما أقل تخصصا بالسرد أو بالتحولات الحضارية.

طريقة البحث

إن البحث في موضوع ديداكتيك النص السردي في ظل التحولات الحضارية الراهنة، يفرض علينا اعتماد منهج متعدد الأبعاد يجمع بين النظرية والتطبيق، وبما أن طبيعة الموضوع تحدد طبيعة المنهج فقد ارتأينا الاستعانة بآليات المنهج الوصفي التحليلي وذلك عبر دراسة الإطار النظري للنص السردي وفق المقاربات الحديثة: البنيوية، التداولية، واللسانية، مع التركيز على البعد التفاعلي والرقمي. إضافة إلى وصف وتحليل أثر التحولات الحضارية (الرقمنة، التفاعلية، الابتكار التربوي) على فهم وتدريس

النص السردي. وكذلك الاستعانة بالمنهج المقارن وذلك عبر المقارنة بين طرائق التدريس التقليدية وحديثة، بين النصوص السردية الكلاسيكية والمعاصرة، وكذا المزج بين النظرية الأدبية (التأطير المفاهيمي للنص السردي) والديدكتيك الحديث (الاستراتيجيات التعليمية والتقنيات الرقمية).

النتائج والمناقشة

المحور الأول: مساق مفاهيم الدراسة

تعد مرحلة تحديد وتعريف المفاهيم الأساسية للدراسة، من الخطوات الجوهرية في أي دراسة علمية، إذ تشكل الإطار المفاهيمي الذي ينطلق منه الباحث لتأطير موضوعه وضمان وضوح المقصود بالمصطلحات المستخدمة. فالمفاهيم الدقيقة تتيح للباحث تجنب الغموض والتداخل بين المصطلحات، وتساعد القارئ على فهم الإشكالية البحثية والسياق الذي تندرج فيه الدراسة.

في الدراسات التربوية والأدبية، مثل ديدكتيك النص السردي، يصبح تعريف المفاهيم أكثر أهمية، إذ يربط بين الجانب النظري للنصوص الأدبية والبعد التربوي والديدكتيكي، ويساعد في صياغة أدوات البحث وتوجيه الممارسات التعليمية وفق أسس علمية واضحة.

انقسم المشتغلون في مجال التربية في رؤيتهم لمفهوم التدريس؛ فمنهم من اعتبره فنا يمكِّن المدرس من صقل شخصيات المتعلمين وتنمية عادات وسلوكيات جديدة لديهم، ومنهم من رآه علما تطبيقيا يعتمد على مبادئ وقوانين ونظريات نفسية وتربوية محددة. وهناك من يرى أن التدريس يجمع بين العلم والفن في آنٍ واحد؛ فهو فن من خلال إظهار المدرس لقدراته الابتكارية والجمالية في التفكير واللغة والحركة والتفاعل مع المتعلمين، "وهو علم تطبيقي يستند إلى مجموعة من العلوم الإنسانية والطبيعية وما توفره من أساسات نظرية وتطبيقية تساعد على تنظيم العملية التعليمية وتحقيق أهدافها (حمدان محمد زياد، ١٩٨٤)

تشتق كلمة ديدكتيك من الفعل اليوناني didaskein، ويعتبر الديدكتيك علما وتخصصا، إذ يحدد منهجية تدريس مادة أو تخصص لاكتساب المعارف وتملكها. "ويشير إلى الطرق والتقنيات المستعملة في التدريس الخاصة بمادة أو تخصص معين، كما يفيد التفاعلات التي قد تتحقق في وضعية تعليمية-تعلمية بين معرفة محددة ومدرس لتلك المعرفة وتلميذ يتلقاها" (الحسن اللحية، ٢٠١٨) ، وبناء على ذلك، يمكن القول بوجود تعاقد ضمني بين المدرس والمتعلم، تتحدد ملامحه في ما يُعرف بـ المثلث الديدكتيكي، الذي تتكامل أقطابه الثلاثة: المدرس باعتباره القطب البيداغوجي، والمتعلم باعتباره القطب السيكولوجي، ثم المعرفة أو المادة الدراسية باعتبارها القطب الإبستيمولوجي. "فالمحتوى يختاره الخبراء المختصون على أسس موضوعية تهدف إلى تطوير كفايات مهنية محددة، بينما يقوم المتعلم بدراسة هذا المحتوى بجهد فردي، ويكون دور المعلم مراقبة سير العملية التعليمية وضمان التفاعل بين عناصرها. ولا يمكن أن تحقق العملية التعليمية نجاحها إلا من خلال تنظيم فعال لهذا النسيج، بما

يضمن أعلى درجات القابلية للتعلم لدى التلاميذ. ويستلزم ذلك تحديد أهداف تعليمية واضحة لرصد النتائج المعرفية واللغوية، مع اعتماد مقاربات تعليمية فعالة وناجعة تتيح الوصول إلى الغايات المرجوة من التعلم" (أحمد حسين اللقاني، ١٩٩٥).

يرجع استعمال لفظة ديدكتيك في التربية أول مرة "كمرادف لفن التعليم من قبل (كومينيوس) في كتابه: "الديداكتيكا الكبرىDidactica Magna " سنة ١٦٥٧" (أحمد أوزي، ٢٠٠٦) والذي ربط المشاكل الديدكتيكية بمصير الإنسان في نظام الكون. "وخلال القرن التاسع عشر وضع (هربارت) Herbartأسس نسق للتعلم بناء على مرتكزات علمية" (كارل بوبر، ١٩٩٢).

وقد استخدمت كلمة «ديدكتيك» في اللغة الفرنسية "ك «نعت أو صفة وأحيانا مع دلالة إضافية قدحية، لوصف كل ما له علاقة بالتدريس باعتباره نقلا تلقينيا للمعرفة أساسا" (جميل إبراهيم ، ١٩٨١) أما الآن فقد صارت اسما يشير إلى علم، أو على الأقل إلى حزمة من الحقول المعرفية ذات الطابع العلمي الذي يقبل التكيف مع مستجدات العصر خاصة في الشق التربوي. في هذا السياق يشير الأستاذ محمد الدريج، إلى اتجاهين: الأول يعتبره "مجرد صفة نعت بها النشاط التعليمي الذي يحدث أساسا داخل حجرات الدرس، والثاني يجعل من الديدكتيك علما مستقلا من علوم التربية" (محمد الدريج، ١٩٨٤)

ولو أمعنا النظر في المعاجم العربية لبحثنا عن تعريفات دقيقة لهذا المصطلح، لوجدنا أنه يكاد يفتقر إلى أثر واضح بصيغته الراهنة. فهو مصطلح مستحدث أُدخل إلى العربية استجابة للحاجة إلى التعبير عن مفهوم حديث، أصبح منذ فترة طويلة أحد علوم الثقافة التربوية الغربية .ورغم الأهمية البالغة التي يكتسبها هذا التخصص في العملية التربوية، إلا أنه يظل شبه مجهول في منظومتنا التربوية، خاصة إذا تناولناه بمفهومه الحديث والمعاصر .فالديدكتيك في جوهره، عبارة عن تفكير منهجي في المادة الدراسية بهدف تدريسها، وهو يواجه نوعين رئيسيين من المشكلات: مشكلات تتعلق بالمادة نفسها، من حيث محتواها وبنيتها ومنطقها، وأخرى تنشأ عن الفرد في وضعية التعلم، وهي ذات طبيعة سيكولوجية. وبناء على ذلك، لا يُعدّ الديدكتيك حقلا معرفيا قائما بذاته، على الأقل في المرحلة الراهنة من تطوره، إلا أنه لا يمكن إنكار وجود مجال خاص يركز على نشاط تدريس مختلف المواد، بما يتيح دراسة طرق وأساليب التعامل مع المحتوى التعليمي وتحسين عملية التعلم.

والملاحظ اليوم، أن التعليم في صورته السائدة عندنا يكاد يقتصر على نقل المعلومات وملء العقول بالمعارف الجاهزة، أكثر من اهتمامه بتدريب العقل على التساؤل، والتحليل، والربط، والتمييز بين الصحيح والزائف. وأن التفكير النقدي لا ينشأ من تكرار المحفوظات، وإنما من بيئة تسمح للطالب أن يسأل، وأن يناقش، وأن يختلف دون خوف وأن يستطيع مجاراة والتأقلم مع كل التقنيات الحديثة التي يمكنها أن تطور من مفاهيمه ومن رؤيته إلى ما يتلقاه من محتويات تعليمية خاصة المعارف الأدبية.

تشير الدراسات الحديثة إلى أن السرد يمثل أداة مركزية للتعبير الإنساني؛ فمنذ ظهور الإنسان، كان السرد حاضرا في أشكال متعددة من اللغة، سواء المكتوبة أو الشفوية، وفي لغة الإشارات والرسم والتاريخ، وفي كل ما نقرأه أو نسمعه، سواء أكان كلاما عاديا أم فنيا. وبفضل هذه الشمولية، تُشكل الأجناس الأدبية القديمة والحديثة، مثل الأساطير، والخرافات، والقصص، والروايات، امتدادا طبيعيا لهذا الفعل الإنساني. ولكل فرد طريقته الخاصة في الحكي، ما يجعل الرصيد التاريخي للسرد هائلا، فهو يشمل ما تم تدوينه وما تناقل شفويا، إضافة إلى جزء ضائع لعدم المحافظة عليه عبر الكتابة والتوثيق.

وفي هذا السياق، يؤكد رولان بارت "أن القصة يمكن أن تعتمد على اللغة المكتوبة أو الشفوية، أو الصورة الثابتة أو المتحركة، أو الحركة، أو المزج المنظم بين هذه العناصر جميعا .كما أن السرد حاضر في مختلف أشكال التعبير الأدبي مثل الأسطورة، والخرافة، وحكايات الحيوان، والقصة القصيرة، والملحمة، والتاريخ، والتراجيديا، والكوميديا، والمسرح الإيمائي، والفنون البصرية الملونة، ليظل بذلك مستمرا عبر الأزمنة والأمكنة والمجتمعات كافة، ومنسجما مع بدايات التاريخ الإنساني نفسه" (رولان بارت ، ١٩٩٣).

وتؤكد هذه الرؤية شمولية وامتداد علم السرد، إذ إنه لا يخضع لقيود لغوية أو لأنماط خطابية محددة، بل يمتد ليشمل كل ما هو أدبي وما هو غير ذلك، ما يفسر تراكمه الهائل عبر التاريخ. ومع ذلك، فقد ضاع جزء كبير من هذا الرصيد لعدم ظهور التدوين إلا في مراحل متأخرة، مما يجعل دراسة السرد واستيعابه تحديا مستمرا للباحثين.

ويتضح من هذا القول، أن رؤية رولان بارت لمفهوم السرد تتجاوز الحدود البنيوية الضيقة لتتجه نحو مجالات متصلة بالحياة نفسها، التي يستمد منها السرد وجوده. ومن ثم، "فإن هذا التصور يتجاوز الإطار التقليدي للسرد ويمتد ليشمل أنساقا ثقافية متنوعة، ما يستدعي تطوير مناهج التحليل الأدبي وتوسيعها لتشمل دور القارئ، باعتبار السرد قولا ينتمي إلى لغة تتوقع اللغة التي تصفها" (يوسف الأطرش، ٢٠٠٤) كما يرى بارت "أن السرد، مثل الحياة، عصي على التعريف نظرا لغموضه، وتعدد أوجهه، وسرعة تفاعله، ولارتباط تعريفه بتجربة الإنسان ذاته (يوسف الأطرش، ٢٠٠٤)

وبناء عليه، يمكن اعتبار النص السردي مجالا ثريا تتعدد فيه الأشكال السردية من خبر وقصة ونادرة وسيرة ورواية وغيرها، وهو يحتل موقعا محوريا في الثقافات الإنسانية كافة، بوصفه أداة فاعلة في إعادة تشكيل الوقائع وتكييف المتخيّل ضمن البنية النصية. ومن ثم، "بات لزاما على الباحث في المصطلح السردي أن يواكب تحوّلاته متابعة دقيقة، وأن يتأمل سياقات نشأته وتطوراته، قصد بلوغ أعلى درجات الضبط الاصطلاحي التي تقتضيها الدراسة العلمية داخل النظرية السردية" (آمنة بلعلي، ٢٠١١)

المحور الثاني: التطور النسقي للنص السردي

شهد السرد العربي، منذ أواخر القرن الماضي، تحولات نوعية بارزة شملت بنياته الداخلية وأبعاده التخييليّة، وذلك بفضل انفتاحه على أنماط كتابية جديدة، وتناوله لقضايا راهنة أملتها مرحلة التجريب التي عرفها الأدب العربي آنذاك. ولم يلبث هذا المسار أن تطور معلنا عن ميلاد شكل إبداعي جديد، يستثمر فيه السرد العربي المعطيات التكنولوجية والوسائط الرقمية لإنتاج نصوص تجمع بين التخييل الأدبي والتصور التقني. "إننا أمام انتقال جوهري في الوسيط الحامل للنص السردي؛ من الورقي إلى الرقمي، بما يترتب على ذلك من تغيرات تطال بنية النص ومكوّناته الداخلية. فالحديث عن الوسيط الأدبي هو، في جوهره، حديث عن أحد أهم عناصر حفظ الإبداع الإنساني وتوثيقه، وضمان استمراريته وانتقاله من جيل إلى جيل ومن زمن إلى آخر، إذ لا يمكن لأي منجز أدبي أن يستمر بعيدًا عن الوسيط الذي يحتضنه، مهما اختلف شكله أو آلية اشتغاله" (هشام رحمي، ٢٠٢٤)

وقد شكل تطور الوسيط الأدبي منعطفا حاسما في تاريخ الأدب العربي، حيث ربطه بسياقاته الكونية وحرره من الانغلاق، مسهما في تطوير الأنساق التعبيرية، وفي القلب منها النسق السردي. "وقد تم هذا الانتقال بشكل متدرّج، من الوسيط الطيني، إلى الوسيط الورقي، وصولا إلى الوسيط الرقمي بما يحمله من دلالات ورموز جديدة" (هشام رحمي، ٢٠٢٤).

وعطفا على ما تقدم، تتفتق مجموعة من الإشكالات لعل أبرزها، كيف اقتحمت الرقمية عالم الأدب عموما والسرد على وجه الخصوص؟ كيف تشتغل داخل جسد النص السردي؟ وما أنماط الكتابة الجديدة التي أفرزها هذا التمازج بين النص الأدبي والتقنية الحديثة؟ كيف يمكن لهذه التحولات أن تنعكس على ديدكتيك النص السردي في ظل المتغيرات الحضارية الراهنة، بما يفرضه ذلك من إعادة نظر في المناهج والمقاربات التعليمية؟

يشير التطور النسقي للنص السردي إلى التحولات التي عرفها فن الحكي عبر العصور، حيث انتقل من الرواية الشفهية المتوارثة إلى أشكال مكتوبة ومرئية ومسموعة، مواكبا بذلك التحولات الثقافية والتكنولوجية. وقد أفرز هذا التطور أدوات جديدة لفهم السرد وتحليله، من أبرزها الخطاطة السردية التي ترصد المراحل الأساسية لتطور القصة. ومع بروز العصر الرقمي، ظهرت أساليب سرد تفاعلية تتيح للقارئ مشاركة مباشرة في تشكيل مسار الحكاية، مما أعاد تعريف العلاقة بين النص والمتلقي.

قد أدت الثورة التقنية الهائلة التي عرفها الإنسان الحديث، إلى ظهور عصر جديد يوسم بالعصر الرقمي، ولا يمكن إدراك محددات هذا العصر المتطور ، إلا بفهم نظام اشتغال العقل البشري. يقول الباحث المختص في الأدب التفاعلي إبرهيم عمري: "لقد راكمت السردانية باعتبارها منهجا محايثا للمقاربة الحكي خبرة بالتجارب والنصوص، وخضعت كما هو معلوم لعمليات تجدد وتكييف وتعديل مستمرة، ولازالت تغتني إلى اليوم بفضل تعاقب تحديات فرضها تنوع الوقائع النصية" (إبراهيم عمري)

الذي أثبت التاريخ أنه لا يقف عند حدود المتاح؛ بل هو دائم السعي إلى التجديد. هذا التحول مس إلى حدود بعيدة الإنتاج الإبداعي بمختلف تلويناته وأشكاله وأقطابه، ووصلت إلى مجال الكتابة السردية، فانتقل إنتاج النص السردي وتلقيه، إلى مرحلة ذات طبيعة رقمية يعتمد فيها على نظام النقر على لوحة المفاتيح من أجل الدخول إلى عوالم النص السردي، وتلقيه، أو إبداعه وتشكيله. إن التمازج بين الكتابة والتكنولوجيا باستثمار وسائطها المدهشة، أدى إلى ظهور أشكال جديدة من طرق الكتابة، لم تكن متوقعة أبداً في مراحل سابقة من مراحل الفكر البشري، وهو ما صار يعرف اليوم بالكتابة الإلكترونية، والكتابة التفاعلية، والكتابة الرقمية، التي تستخدم الوسائط التكنولوجية وما تتيحه من إمكانات غير محدودة.

المحور الثالث: منهجية تدريس النص السردي: أفكار و اقتراحات

يعد تحليل النص السردي، وخاصة النص الروائي محطة أساسية في منهاج اللغة العربية بالسلك الثانوي التأهيلي، إذ يُمكّن المتعلم من تنمية قدراته على القراءة الواعية والتفكير النقدي، كما يتيح له امتلاك أدوات منهجية لفهم البنية الحكائية وتفكيك عناصرها من أحداث وشخصيات وزمان ومكان وسارد.

انطلاقا من التوجيهات التربوية المغربية، تتم مقاربة النص السردي وفق مسار متدرج يجمع بين الفهم والتحليل والتركيب والاستثمار؛ حيث ينفتح المتعلم أولًا على المعنى العام والأفكار الجزئية، ثم يتدرج إلى استكشاف البنية الداخلية للنص وأبعاده الفنية والدلالية، ليصل في النهاية إلى صياغة خلاصة تركيبية تبرز القيم الفكرية والإنسانية المتضمنة فيه. وهكذا يغدو النص السردي مجالًا تربويًا غنيًا لتطوير الكفايات القرائية واللغوية والجمالية، ولتحفيز المتعلم على إنتاج نصوص بديلة أو مقاطع إبداعية، مما يربط بين الفعل القرائي والقدرة التعبيرية، ويُحقق بذلك التكامل بين التكوين المعرفي والبعد التربوي.

ويراعى في ذلك درس المؤلفات أو تحليل المقطع الروائي جعل المتعلم مركز العملية التعليمية عبر تشجيعه على القراءة الاستكشافية وتجنب التلقين، ويمكن توضيح ذلك أكثر بما جاء في التوجيهات التربوية الخاصة بمادة اللغة العربية (السلك الثانوي التأهيلي) (التوجيهات التربوية والبرامج الخاصة بتدريس مادة اللغةالعربيةبسلك التعليم الثانوي، نونبر ٢٠٠٧). حيث يتم (١) اعتبار المتعلم مركز العملية التربوية، ولا يمكن تحقيق هذا المبدأ إلا بتوجيهه إلى التعلم الذاتي وقراءة النص الروائي قراءة استكشافية، والإعداد لكل حصة من حصص التعلم الصفي. (٢) تجنب تدريس النص الروائي من خلال المقاربات التي تقترحها كتب التأليف الموازي، أو بإملاء ملخصات جاهزة من مبادرة المتعلم، ومن فرص البحث والتقصي وبذل المجهود الذي يقتضيه الدرس والتحصيل. (٣) إخضاع تدريس النص الروائي لتخطيط دقيق يقوم على إحصاء الحصص الدورية، وتوزيع المؤلف عليها، مع مراعاة حصة التقديم

وحصتي التركيب والتقويم النهائيتين. (٤) اعتماد طرائق وتقنيات تنشيط المجموعات في تقديم درس المؤلفات وخاصة في المرحلتين التحليلية والتركيبية .(٥) لتجاوز الصعوبات التي قد تقف أمام المدرس في تدريس النص الروائي، فإننا نقترح عليه خطة عامة توضح مراحل إنجاز هذا الدرس.

أ. خطوات عامة لقراءة وتحليل النص الروائي:

تختلف قراءة مؤلف كامل عن قراءة نص مجتزأ من حيث المقاربة والأنشطة التربوية وإن كانتا تلتقيان من حيث الأدوات الموظفة والطرق المستعملة، وإذا كان لابد من تقديم إطار عام لقراءة المؤلف، وذلك بوصف خطوات تربوية ومنهجية لا تلغي اجتهادات الأساتذة ومقترحاتهم لتطوير درس المؤلفات، وتتفرع هذه الخطوات إلى ثلاث مراحل أساسية" (التوجيهات التربوية والبرامج الخاصة بتدريس مادة اللغةالعربيةبسلك التعليم الثانوي، نونبر ٢٠٠٧):

مرحلة القراءة التوجيهية :حيث يوجَّه المتعلم إلى كيفية قراءة المؤلف قراءة واعية مسترشدا بما يلي، الانطلاق من تحديد الأهداف المتوخاة من تدريس المؤلف.

تقديم النص الروائي (تحديد نوعه الأدبي - التعريف بصاحبه مع الاقتصار على ما له صلة وظيفية بالمؤلف) - دواعي كتابة المؤلف. صياغة المشكلة التي يثيرها موضوعه، ووضع فرضيات عامة لمحاور أو جوانب دراسية فيه، ثم وضع تصميم متماسك لتناوله. إعداد عرض مجمل للنص الروائي يشمل أحداثا، شخصيات، مواقف، وانتقالات سردية أو حوارية، مع مراعاة نشاط المتعلم.إجراءات التقويم :يركز الملخص على محتوى الحكي دون مقدمات أو إحالات، مع التركيز على أهم الوقائع وتفصيلاتها. المتن الحكائي :يجب ترتيب الوقائع من حيث الزمن، حتى وإن كان السرد لا يلتزم بذلك. هذه المرحلة تُختتم بتحديد جزء أو مقاطع لإعادة قراءتها، لخلق حوار حول محتواها وتقنياتها.

مرحلة القراءة التحليلية :تقوم على خطوتين متكاملتين، الأولى تحليل الجزء دون إغفال علاقته بغيره، والثانية هي تحليل النص السردي في شكل إشارات مركزة. ترتكز هذه الخطوة على قراءة عمودية لكل عنصر من عناصر النص الروائي، مثل :الحدث، القوى الفاعلة، البعد النفسي، البعد الاجتماعي، والأسلوب.

مرحلة القراءة التركيبية :تركز على توظيف مهارات التركيب والتقويم، للنظر إلى مكونات المؤلف وقيمته الأدبية. وتُستثمر في هذه المرحلة النتائج التي توصل إليها المتعلم، ومقارنتها بآراء الدارسين، وتوظيف المنهج الصحيح لتقييم المؤلف. (التوجيهات التربوية والبرامج الخاصة بتدريس مادة اللغةالعربيةبسلك التعليم الثانوي، نونبر ٢٠٠٧)

ب. اقتراحات لتجويد تدريس النص الروائي:

يقتضي تدريس النص السردي في السلك الثانوي اليوم تجاوز المقاربات التقليدية القائمة على التلقين والملخصات الجاهزة، نحو جعل المتعلم مركز العملية التعليمية عبر تشجيعه على القراءة الاستكشافية والتعلم الذاتي. وتؤكد التوجيهات التربوية (٢٠٠٧) على اعتماد تخطيط دقيق لحصص درس المؤلفات، وتفعيل طرائق العمل التعاوني وتقنيات التنشيط.

وفي ظل المتغيرات الحضارية الراهنة، خاصة التحولات الرقمية، يصبح من الضروري توظيف الوسائط الحديثة (الكتب الرقمية، المقاطع السمعية البصرية، المنصات التفاعلية) لجعل النص الروائي أكثر قربا من المتعلم، وتحفيزه على التفاعل النقدي معه، بدل الاقتصار على الشرح والتحليل الكلاسيكي.

وبذلك يغدو درس السردي مجالا لتكوين القارئ الكفء القادر على الربط بين النصوص التراثية والحديثة، الورقية والرقمية، واستثمار مهارات التحليل والتأويل في ضوء القضايا الثقافية والإنسانية التي تهمه في زمنه الراهن. وبناء عليه نقترح مايلي:

١. جعل المتعلم في قلب العملية التعليمية:

من خلال اعتماد التعلم بالاكتشاف بدل التلقين.، وتكليف المتعلم بالتحضير القبلي (قراءة مقاطع، البحث عن المؤلف، إعداد أسئلة)، ثم تفعيل العرض التشاركي بحيث يقدم المتعلم مقاطع من الرواية بدل الاكتفاء بالشرح المباشر.

٢. التنويع في الوسائط والوسائل:

وذلك عبر إدماج وسائط رقمية)مقاطع سينمائية، تسجيلات صوتية، صور مكانية مرتبطة بالرواية)، استعمال العروض التفاعلية (خرائط ذهنية، منصات كـ Padletأو(.Canva تخصيص لحظات لمقارنة النص الروائي بالنصوص الموازية (مقال نقدي، فيلم مقتبس)

٣. اعتماد بيداغوجيا المشروع:

ويتم ذلك من خلال تكليف المتعلمين بإنجاز مشاريع مرتبطة بالرواية مثل: كتابة ملخص إبداعي في شكل قصة مصورة، أو إنتاج "بودكاست" جماعي حول موضوع الرواية، أو إنجاز عرض مسرحي قصير يجسد حدثًا من النص.

٤. ربط النص الروائي بالقضايا الراهنة:

ولتحقيق ذلك،يراعى مناقشة قضايا الرواية على ضوء قضايا العصر (الهجرة، الحرية، التكنولوجيا، الهوية). وتحفيز المتعلم على إسقاط أحداث الرواية على واقعه المحلي أو العالمي.

وكمثال لذلك: مناقشة أزمة الهوية في رواية اللص والكلاب لنجيب محفوظ، وربطها بمسألة الاغتراب الرقمي اليوم.

٥. تجديد استراتيجيات التقويم:

ويمكن تفعيل هذا المعطى من خلال: تجاوز الامتحان التقليدي نحو تقويم يهدف إلى قياس القدرات الإبداعية والتحليلية لدى المتعلم، أو إجراء تقويم شفهي: عرض قصير أمام الزملاء، أو إ نجاز تقويم رقمي مثلا كالاختبار التفاعلي عبر تقنيتي Kahoot أوQuizizz .

الخاتمة

إن البحث في ديدكتيك النص السردي في ظل المتغيرات الحضارية الراهنة يضعنا أمام حقيقة أساسية مفادها: أن هذا النص لم يعد مجرد مادة قرائية أو معرفية تدرس وفق مناهج جاهزة أو ملخصات نمطية، بل أضحى مجالا معرفيا وثقافيا مفتوحا يتقاطع مع رهانات العصر وتوجهاته الكبرى. فالسرد، بما يحمله من قدرة على تمثيل التجربة الإنسانية وتشكيل الوعي، يظل أداة مركزية في التربية والتعليم، غير أنه في السياق المعاصر لم يعد قابلا للانحصار في مقاربات تقليدية، بل بات يتطلب وعيا منهجيا يدمج بين الوظيفة الأدبية والبعد التربوي والمعطى الرقمي والتكنولوجي.

ولقد أفرزت التحولات الحضارية والتقنية أشكالا جديدة من السرد، كالسرد التفاعلي والرقمي والمرئي، مما يستدعي بالضرورة تجديد آليات تدريسه لتواكب حاجات المتعلم المعاصر، وتفتح أمامه آفاق القراءة الإبداعية والناقدة. وهذا لا يتحقق إلا بجعل المتعلم في قلب العملية التعليمية، وتشجيعه على الاستكشاف والبحث الذاتي، وتوظيف الوسائط الرقمية في تحليل النصوص، حتى يغدو النص الروائي وسيلة لاكتساب الكفايات القرائية والجمالية، وأداة لبناء شخصية المتعلم القادر على التفاعل مع النصوص ضمن سياقاتها الثقافية والكونية.

إضافة إلى أن "تحولات النص السردي ثابتة وقائمة، فرضتها سياقات التطور الإنساني وما نتج عنها من ثورة تقنية، كانت الرقمية أهم إفرازاتها، حيث تم حاليا إعادة تشكيل تصور مختلف وجديد حول مفهوم النص السردي وخصائصه. وهذا يثبت أن الرقمية ليست مجرد ثقافة سواء بالمعنى الكلاسيكي التقليدي أو بالمعنى الأنثروبولوجي؛ هي نمط وجود وصيغة من صيغ الإقامة في العالم، وهذا يتطلب ضرورة امتلاك وعي ناضج بالرقمية لتفكيك الخطاب الرقمي وتأويل بنائه، فالميديا والميليتميديا ليست مجرد وسائط للاتصال؛ بل هي موقف من العالم ورؤية للذات والكون" (هشام رحمي، ٢٠٢٤)

وعليه، فإن الرهان البيداغوجي اليوم، يتمثل في الانتقال من تعليم النص السردي بوصفه بنية لغوية أو موضوعا جاهزا، إلى تدريسه باعتباره تجربة إنسانية مفتوحة على القيم، والخيال، والتكنولوجيا، بما يضمن صقل الذائقة الأدبية لدى المتعلم، وتنمية حسه النقدي، وإعداده للانخراط

الفاعل في عالم سريع التحول. وبذلك يتحقق الغرض التربوي الأسمى: أن يصبح النص السردي وسيلة لتربية الفكر والوجدان معا، ومجالا حيا لتوليد المعنى داخل المدرسة وخارجها.

المراجع

التوجيهات التربوية والبرامج الخاصة بتدريس مادة اللغةالعربية بسلك التعليم الثانوي. وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي(نونبر ٢٠٠٧).

أحمد أوزي: المعجم الموسوعي لعلوم التربية، الدار البيضاء. (٢٠٠٦)

إبراهيم عمري: تأليف الأدب الرقمي ونظرية الأدب من مد الجسور إلى سؤال الكينونة. مؤلف جماعي مختبر اللغة والأدب والتواصل الكلية المتعددة التخصصات بتازة.

أحمد حسين اللقاني. تأليف المناهج بين النظرية والتطبيق. عالم الكتب القاهرة : الطبعة الرابعة . (١٩٩٥).

-الحسن اللحية: الكامل في علوم التربية، موسوعة المفاهيم التربوية، سلسلة المعارف البيداغوجية. دار النشر المعرفة، مطبعة المعارف الجديدة الرباط، الطبعة الأولى.

آمنة بلعلي: المتخيل في الرواية الجزائرية (من المتماثل الى المختلف). دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر: الطبعة الثانية . (٢٠١١).

حمدان محمد زياد: أدوات ملاحظة التدريس ومناهجها واستعمالاتها في تحسين التربية المدرسية الدار السعودية للنشر والتوزيع: سلسلة التربية الحديثة ١٣.

خمار لبيبة: *تحولات السرد في العصر الرقمي*، موقع لبيبة الخمار : WWW .labiba-khemmar.narration.over-blog.com (١٩ ٩, ٢٠٢٥)

-رولان بارت: مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص ترجمة منذر عياشي. مركز الانماء الحضري: الطبعة الأولى. (١٩٩٣)

كارل بوبر: بؤس الإيديولوجيا نقد مبدأ الأنماط في التطور التاريخي، ترجمة عبد الحمد صبرة، دار الساقي، الطبعة الأولى، ١٩٩٢.

محمد الدريج: ماهي الديداكتيك، مجلة التدريس ، العدد ٧.

محمد بوعزة: تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم. الدار العربية للعلوم ناشرون: الطبعة الأولى. (٢٠١٠).

هشام رحمي: تحولات النص السردي من الرقمي إلى التفاعلي، مجلة المعرفة العدد ١٣. (٢٠٢٤).

يوسف الأطرش: الخطاب السردي ومكوناته من منظور رولان بارت، مجلة السرديات جامعة منتوري، قسنطينة: العدد ٠١ (٢٠٠٤).